حيلَةُ ماسِحِ الأَحْذِيَة

تأليف: صبحي سليمان
رسم: عبد الرزّاق الصالحاني







اعْتَلَتِ الشَّمْسُ السَّماء، واشْتَدَّتْ حَرارَةُ الجَوِّ كَعادَتِها في هَذا الوَقْتِ مِنَ اليَوْمِ الصَّيْفِيِّ الحارّ. وما زالَ هَذا الشّابُّ يَنْقُرُ بِفُرْشاتِهِ الخَشَبِيَّةِ عَلى المَقْعَدِ الصَّغيرِ المُخَصَّصِ لِمَسْحِ الأَحْذِيَةِ مِنْ دونِ أَنْ يَنْتَبِهَ إِلَيْهِ أَحَدٌ.





أَحَسَّ بِأَلَمٍ في بَطْنِهِ بِسَبَبِ الجوعِ الَّذي يَعْتَصِرُ جَسَدَهُ النَّحيل. فَأَمْسَكَ بَطْنَهُ بِقُوَّةٍ كَيْ يُجْبِرَها عَلى الهُدوءِ لِيَسْتَطيعَ مَسْحَ حِذاءِ أَيِّ شَخْصٍ يَطْلُبُ ذَلِك. لَكِنَّ أَحَدًا لَمْ يَطْلُبْ مِنْهُ مَسْحَ حِذائِهِ مُنْذُ الصَّباح. فَالجَميعُ لا يَشْعُرونَ بِوُجودِهِ ولا يَدْري هُوَ ما السَّبَب!

رَفَعَ صَوْتَ نَقْراتِ الفُرْشاةِ عَلَّها تَكونُ السَّبَب، لَكِنَّ مُحاوَلَتَهُ باءَتْ بِالفَشَل.

حَمَلَ الشّابُّ الكُرْسِيَّ الصَّغيرَ ومَشى بِخُطى مُتثاقِلَةٍ وتَوَجَّهَ نَحْوَ مَقْهى يَعْرِفُه؛





لَكِنَّهُ وَجَدَ المَقْهى فارِغًا إلّا
مِنْ شَخْصٍ مُتَواضِعِ الحالِ
يَقْرَأُ جَريدَةً، وحِذاؤهُ مُتَّسِخٌ.



اقْتَرَب الشّابُّ مِنَ الرَّجُلِ بِهُدوءٍ، وقال: «أَتُريدُ مَسْحَ حِذائِكَ يا سَيِّدي؟».

لَمْ يَنْظُرِ الرَّجُلُ إِلَيْه، وقالَ مِنْ دونِ مُبالاةٍ: «لا».

اسْتَعْطَفَهُ الشّابُّ قائِلًا: «بِجُنَيْهٍ واحِدٍ يا سَيِّدي».

رَدَّ الرَّجُلُ بِحِدَّةٍ: «لا».

اسْتَعْطَفَهُ الشّابُّ أَكْثَرَ قائِلًا: «حَسَنًا، بِنِصْفِ جُنَيْهٍ، أُريدُ أَنْ أَشْتَرِيَ رَغيفَ خُبْزٍ لِآكُلَه».

- لا.



ـ لَمْ أَتَنَاوَلْ طَعامًا مُنْذُ الصَّباحِ يا سَيِّدي، دَعْني أَمْسَحُ حِذاءَكَ!

ـ لا.

ـ حَسَنًا، سَأَمْسَحُ الحِذاءَ مِنْ دونِ مُقابِلٍ!



هُنا، أَزاحَ الرَّجُلُ الجَريدَةَ عَنْ وَجْهِه، ونَظَرَ إلى الشّابِّ نَظْرَةَ غَيْرِ المُصَدِّق، وقال: «أَتَقولُ مِنْ دونِ مُقابِلٍ ؟!».

ابْتَسَمَ الشّابّ، وقال: «أَجَل، مِنْ دونِ مُقابِلٍ».

ابْتَسَمَ الرَّجُل، ومَدَّ قَدَمَهُ بِسُرْعَةٍ قائِلًا: «تَفَضَّل».





وعَلى الفَوْر، مَسَحَ الشّابُّ فَرْدَةَ الحِذاء، وحَوَّلَها نَظيفَةً لَمّاعَةً جَعَلَتِ الرَّجُلَ يَبْتَسِمُ وهُوَ يَرى مَهارَتَه.

ما إنِ انْتَهى الشّابُّ مِنْ مَسْحِ فَرْدَةِ الحِذاء، حَتّى قامَ فَوْرًا وأَرادَ الابْتِعاد.

نَظَرَ الرَّجُلُ إلى فَرْدَةِ الحِذاءِ الأُخْرى، وقال: «إلى أَيْن؟ أَ نْتَ لَمْ تُنْهِ مَسْحَ فَرْدَةِ الحِذاءِ الأُخْرى».





ابْتَسَمَ الشّابّ، وقال: «مَسَحْتُ فَرْدَةً واحِدَةً مَجّانًا. أَمّا الأُخْرى، فَإنَّ ثَمَنَ مَسْحِها جُنَيْهًا كامِلًا».







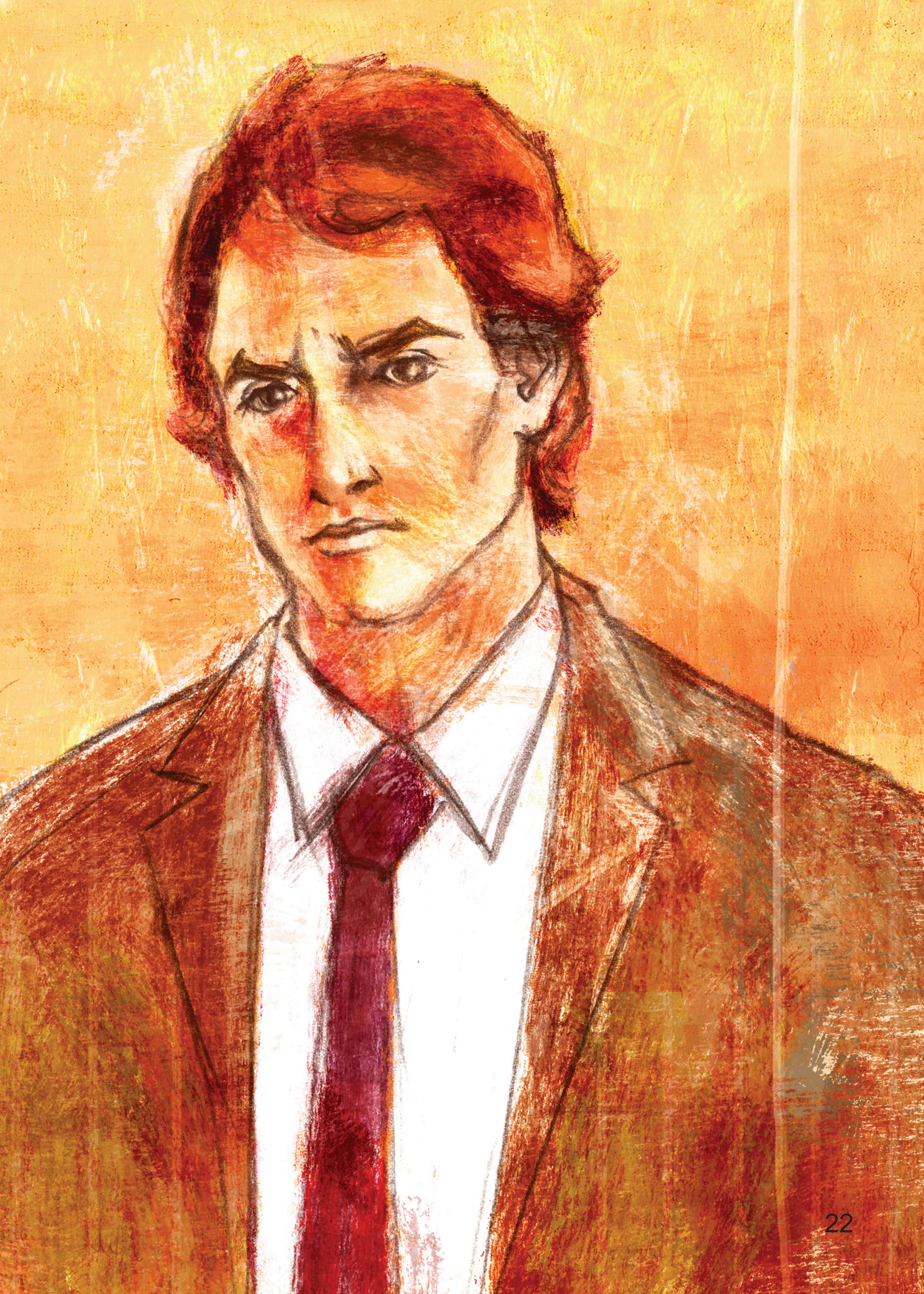
عَلِمَ الرَّجُلُ أَلّا مَفَرَّ مِنْ دَفْعِ الجُنَيْهِ
لِلشّابّ. فَأَعْطاهُ الجُنَيْهَ وطَلَبَ مِنْهُ
مَسْحَ الفَرْدَةِ الأُخْرى.



ما إنِ انْتَهى الشّابُّ مِنْ مَسْحِ فَرْدَةِ الحِذاءِ الأُخْرى وانْصَرَفَ عَنِ الرَّجُل، حَتّى عادَ وأَعْطاهُ الجُنَيْه، وقال: «عَلى الرَّغْمِ مِنَ الجُوعِ الَّذي أَشْعُرُ بِه، إلّا أنَّني لَنْ أَقْبَلَ نقودًا جَنَيْتُها بِالخَديعَة... تَفَضَّلْ نُقودَكَ».

أَلْقى الشّابُّ الجُنَيْهَ عَلى الطّاوِلَةِ أَمامَ الرَّجُل.





بَرَقَتْ عَيْنا الرَّجُلِ عِنْدَما سَمِعَ ذَلِك. وجَرى خَلْفَ الشّابِّ قائِلًا: «تَمَهَّلْ أَيُّها الشّابّ، أَنا أَعْتَذِرُ مِنْكَ. خُذْ حَقَّكَ، فَأَنْتَ أَدَّيْتَ لي خِدْمَةً وأَنا أَشْكُرُكَ عَلَيْها».





هُنا، طارَ الشّابُّ مِنَ الفَرْحَةِ وأَخَذَ الجُنَيْهَ وأَنْفَقَهُ
عَلى أَوَّلِ رَغيفِ خُبْزٍ لِيَسُدَّ بِهِ جوعَه.



